بنية الجملة في شعر المؤيَّد في الدين داعي الدّعاة الفاطمي دراسة أسلوبية

رواء محمد حلحوت

أ.م. د. علي عبد رمضان

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة / قسم اللغة العربية

المُلخّص:

يهدف البحث إلى دراسة بنية الجملة في شعر المؤيّد في الدّين بنوعيها: الجملة الاسمية والجملة الفعلية دراسة أسلوبية، إذ تعتني الدراسة بالبنى التركيبية ضمن سياقها، وتقوم برصد كل ما له إيحاء وثراء في لغة النص، وما مدى فاعليتها، وأثرها الدلالي، وتشكيلها مؤشرات أسلوبية في شعر المؤيّد، وقُسّم البحث على قسمين: بنية الجملة الاسمية وأثرها الدلالي في التعبير الشعري عند المؤيّد في الدّين، وبنية الجملة الفعلية وأثرها الدلالي في التعبير الشعري عند المؤيّد في الدّين.

الكلمات المفتاحية : بنية الجملة، أسلوبية، شعر المؤيّد في الدين.

The Sentence Structure in the Poetry of Al-Mu'ayyad fi al-Din: A Stylistic Study

Rawaa Mohammed Helhout

Asst. Prof. Dr. Ali Abid Ramadan

Dept. of Arabic, College of Education for Human Sciences, University of Basrah

Abstract:

The research examines the sentence structure in the poetry of Al-Mu'ayyad fi al-Din in its two types: nominal sentences and verbal sentences, in a stylistic study. The study focuses on the structural elements within their context, observing everything suggestive and enriching in the language of the text. It evaluates the effectiveness and semantic impact of these structures, considering them as stylistic indicators in Al-Mu'ayyad's poetry. The research is divided into two sections: the structure of nominal sentences and their semantic impact on poetic expression by Al-Mu'ayyad fi al-Din, and the structure of verbal sentences and their semantic impact on poetic expression by Al-Mu'ayyad fi al-Din.

Keywords: Sentence structure, Stylistic, the Poetry of Al-Mu'ayyad fi al-Din.

المقدمة

يتناول البحث المعنون بـ((بنية الجملة في شعر المؤيّد في الدّين داعي الدّعاة الفاطمي دراسة أسلوبية)) بنية الجملة في شعر المؤيّد بنوعيها: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، من خلال بيان أثرها، وفاعليتها، ووظيفتها الدلالية، وهل شكّلت قيمة أسلوبية في شعر الشاعر؟، وهل أسهمت في خدمة قصيدته شعرياً وفكرياً؟.

اعتمدت دراسة هذا المبحث المنهج الأسلوبي متخذين من الوصف والتحليل وسيلة للوقوف على بنية الجملة الاسمية، والجملة الفعلية وبيان أثرهما في شعره، وقد اقتضى البحث أن يقسّم على مقدمة، فمدخل، ومبحثين، تناولنا في المبحث الأول: بنية الجملة الاسمية وأثرها الدلالي في التعبير الشعري عند المؤيّد في الدين، أما في المبحث الثاني فقد تناولنا: بنية الجملة الفعلية وأثرها الدلالي في التعبير الشعري عند المؤيّد في الدين، ثم الهوامش، وقائمة المصادر والمراجع.

المدخل:

تتشكّل اللغة من جمل وعبارات أساسها التركيب النحوي، سواء أكانت نثراً أم شعراً، ومعلوم أنّ الجملة في حدود النحويين هي مقدار الكلام الذي يحسن السكوت عليه بعد إتمام المعنى.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس((إنّ(الجملة) في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر))[١].

فالجملة تركيب من عناصر لغوية محكومة بالضوابط النحوية، وهذه الجملة عندما تدخل عالم الشعر لا بدّ أن تأتي ببناء مخصوص يفرضه عليها حال الشعر، وتعبيره، وبنيته الإيقاعية، والانزياحية، وهذا لا يعني أنّ الجملة عندما تكون في الشعر تتخلى عن أسسها البنائية أو أنّها لا تلتزم بذلك، بل يجب أن تنطبع بطوابع الشعر، إذ يرى الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف أنّه((ليس معنى هذا أنّ الشعر يلغي نظام الجملة، فهذا مما لا يتصور بحال؛ لأنّ إلغاء نظام الجملة إلغاءٌ للكلام عامة، ولكن الجملة فيه لا يكون لها ذلك الاستقلال الصارم الذي تحظى به في النثر، وتتوزع أجزاؤها في الشعر على أكثر من بيت واحد أحياناً))[٢]. والجملة في الشعر عبارة عن تشكيل يتوافر فيه

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

مفهومان: فالمفهوم الأول يتعلق بمعيارية الجملة التي وضعها النحاة أي المفهوم التركيبي، والمفهوم الثاني يتعلق بالشعر، وتكون فيه الجملة ذات دلالة فنية؛((لأنّها لا تسلك الطريق المباشر، بل تتخذ طريق الفن، بما فيه من خيال، ووجدان، وثقافة، ونضوج، وخبرة))[٣].

والجملة في الشعر هي((القدر الكافي من الكلام، أو الامتداد الشعري الذي يكشف تحليله كل ما يعمل في بنيته من مستويات أدت إلى رسم صورة شعرية، أو جانب مؤثر منها))[٤].

والجملة الشعرية تتصف بمرونتها، فهي مستوعبة للدفقة الشعورية ومستوعبة للبعد الأيديولوجي، وربما لا تكتفي ببيت واحد فقد تصل إلى أكثر من ذلك، أو قد تتخللها جمل صغيرة في داخلها قبل أن تنتهي، فهمّها إتمام الصورة الشعرية المقصودة[٥].

ومعلوم أنّ الجملة العربية تنقسم على قسمين: جملة اسمية وجملة فعلية. فالاسمية هي التي يتصدّرها الاسم، والفعلية التي يتصدّرها الفعل، ويقصد بصدارتهما أما أن يكون مسند إليه أي المبتدأ في الجملة الاسمية، أو مسند أي الفعل في الجملة الفعلية[٦]. ولكلّ واحدة منها أيضاً وظائفها التعبيرية التي يستدعيها القول الشعري، فالشاعر قد لا يهيئ جملة مسبقة ليقولها في شعره، وإنّما حال التعبير هو الذي يتخيره. فلا بد أنْ يتّبعَ أسلوباً تعبيرياً يؤدّي من خلاله أفكاره الشعرية، ومن هنا نفهم أنّ للشعر أسلوبيته البائنة المختلفة عن الأسلوب النثري، فتوظيف الشاعر للجملة سواء كانت اسمية أم فعلية لا بدّ أن يوظفها على وفق مبدأ الاختيار من إمكاناته اللغوية ومعجمه الشخصي، ومبدأ الاختيار هو أول المبادئ الذي تهتم بدراسته الأسلوبية، فـ((تقوم ظاهرة التركيب في المنظور الأسلوبي على ظاهرة إبداعية سابقة عليها وهي ظاهرة الاختيار))[٧]، وتلقائياً أنّ هذا الاختيار لأيّة جملة لم يكن بمعزل عن التجربة الشعرية أي ليس ببعيد عن الدفقات الشعورية أو البواعث الأيديولوجية.

وإنّ الدراسة الأسلوبية تقوم بدراسة تلك البنى التركيبية ضمن سياقها فتقوم برصد كل ما له إيحاء وثراء في لغة النص ويلفت انتباه السامع، وفي هذا المبحث سنتناول البنى التركيبية للجملة الشعرية بنوعيها الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ومدى فاعليتها، وأثرها الدلالي، وتشكيلها مؤشرات أسلوبية في شعر المؤيَّد في الدين.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

المبحث الأول:

بنية الجملة الأسمية وأثرها الدلالي في التعبير الشعري عند المؤيَّد في الدين

نلاحظ أنّ الشاعر اعتمد بنية الجملة الاسمية في شعره، فقد وظّفها بما يخدم الفكرة التي يريد التعبير عنها وهي دعوته إلى المستنصر، إذ يقول[٨]:

ونظـــرُ المـــرءِ لَـــهُ شَـــرَائِطٌ	تَارِكُهَـــا فـــي الظّلِمَـــاتِ خَـــابِطٌ
وتلـكَ أنْ يُوجَـدَ شَـمْسٌ أو قمـرْ	أو شُـعَلٌ _ أو لا_ فـلا يُغنِـى النَّظـرْ
كَـــذلكَ العقـــلُ لَـــدَى التَّبَصُّـــرِ	بِذاتِـــــهِ فـــــي حَيِّـــــزِ التحيُّـــــرِ
إلاّ بنـــورٍ عاضـــدٍ مـــن خـــارجٍ	فعنـــــدَهُ يعـــــرُجُ فـــــي المَعَـــــارِجِ

نجد أنّ الجملة الاسمية وردت بوفرة ملحوظة في هذه الأبيات، فنلاحظ أنّ صدر البيت الأول وعجزه معبّرٌ عنهما بالجمل الاسمية، ففي صدر البيت الأول متكونة الجملة الاسمية من المبتدأ المعرف بالإضافة(نظرُ المرءِ)، والخبر جملة اسمية(له شرائطٌ)، وفي عجزه متكونة من المبتدأ المعرف بالإضافة(تاركُهُا) والخبر (خابطٌ)، فنجد البيت الأول مستمداً طاقة الثبوت من الأسماء التي وردت في الجمل الاسمية التي خلت من الأفعال دلالة على أنّ الجملة الاسمية الخالية من الأفعال استوعبت حتمية الرؤية المشروط تحققها، وإنْ عدمت تلك الشروط فلا تتحقق. وكذلك البيت الذي تلاه مكملاً معناه حول الرؤية البصرية، ذاكراً شروط تحقق الرؤية وهي(الشمس والقمر والشعل)، فالمبتدأ اسم الإشارة(تلك) والخبر المصدر المؤول من(أنْ والفعل) المتمثل في(أن يوجد شمس أو قمر أو شعل)، إذن مما عزّز دلالة الثبوت في البيت الأول هيمنة الفكرة العقلية في البيت الثاني؛ فالجملة الاسمية وخبرها المصدر المؤول استوعبا الفكرة العقلية، ومنَ ثمَّ نلاحظ أنّه يوظّف هذه الأبيات غاية في كيفية تحقيق الرؤية العقلية، وفي البيت الثالث اعتمد الجملة الاسمية أيضاً فالمبتدأ(العقل)، والخبر جاء شبه جملة من الجار والمجرور (كذلك)، وما بعده(لدى التبصر) جملة ظرفية في محل نصب حال أول، و(بذاته) شبه جملة في محل نصب حال ثان، فخلو تلك الجملة من الحركية جعلها موائمة وعجز الإنسان عن الرؤية العقلية وثبوته ضمن نطاق ثابت لا يخرج عنه، وهذا يحيلنا إلى أنّ الرؤية العقلية مشروطة عند المؤيَّد أيضاً، وهذا ما نستشفه في البيت الرابع مكملاً باستثناء شرط الرؤية العقلية وهو

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

نور يسعفه من الخارج، أي إنّ إدراك المدركات العقلية يتمّ بوساطة(نور عاضد من خارج)، ويقصد بهذا النور هو الأنبياء والرسل ومن بعدهم من الوصي أو الإمام فهؤلاء هم الأنوار الحقيقية للعقل وتكون قوتهم سماوية كقوة الأنوار السماوية للبصر فمن خلالهم يعرف دينه وطريقه[٩]، ومن خلال وظيفة الاستثناء التي استثنت هذا النور الذي يستعين به ويتبعه سوف يلقى المرء نتيجة ذلك وهذا ما وجدناه في الشطر الثاني من البيت الرابع من خلال الجملة الفعلية(فعنده يعرج في المعارج)، إذ تحولت الدلالة من الثبوت بعدم اتباع الإمام إلى دلالة التجدد والحدوث فيما يضفيه اتباعه على المرء، فعند اتباعه يرتقي المرء إلى مراتب عليا، والوصول إلى هذه المراتب تصاحبها الحركية والتجدد، إذن فإنّ الجملة الفعلية استوعبت هذا الفكر وما يطرأ عنه، ومن ثمّ فإنّ وفرة الجمل الاسمية متمّمة بجملة فعلية كانت مستوعبة الموقف الأيديولوجي، علاوة على ذلك أنّ إتمام المعنى الفكري المقصود من تلك الجمل قد استغرق أكثر من بيت في التعبير عن رؤية المؤيَّد تجاه اتباع إمامه المستنصر.

وفي أبيات أخرى نجده يعبّر عن الدعوة الفاطمية معتمداً الجملة الاسمية كذلك، وهو في سياق مدح المستنصر، إذ يقول[١٠]:

كَنْـزُ العلـومِ عِنْـدَهُ مفتاحُـهُ	**فـالحقُّ منـهُ زاهـرٌ مصباحُهُ**
دَعوَتُـهُ قائمـةٌ فـي العـالمِ	**عاليـــةٌ ظـــاهرةُ المعـــالمِ**
لَـهُ المَقَـامُ والصّـفا والمشـعرُ	**وسيفُهُ بينَ الأعادي يُشْـهَرُ**
تـأمَّلوا مـن هـذهِ الأعـلامُ	**تُوجَـدُ فيـهِ فهـو الإمـامُ**

نجد الشاعر يعدّد مناقب الإمام مبتدئاً بعلمه ويرى أنّه مالك مفتاح أسرار العلوم، وأنّ الحقّ تجلّى به، ويصف موضع شاهدنا(دعوته) في البيت الثاني بمفردات حقيقية تخلو من المجاز بأنّها دعوة لها وجودها وكيانها في الأمّة، فضلاً عن ذلك علو مكانتها ومعروف مَنْ يقودها، فالمبتدأ هنا(دعوته)، وخبرها المتعدد(قائمة، عالية، ظاهرة)، والجملة الاسمية هنا استدعت الإطالة عن طريق تعدد الأخبار، وما دلالة التعدد هنا إلا الشمول والسعة إذ كلما تعدد الخبر فإنّ المبتدأ تتسع دلالته وتتنوع فلا يقف عند دلالة واحدة، وأنّ مدح الدعوة بهذه الأخبار يعدّ وسيلة إقناعية وإعلاماً يحمل رسالة أيديولوجية للمذهب الفاطمي وتعزيز مكانة المستنصر، وكذلك دلالة البيت الشعري تحمل طاقة الثبوت متمثلة بثبوت الدعوة والثقة التامة بها، إذْن كان لفاعلية الجملة الأسمية الخالية من الأفعال دور في مدّ البيت الشعري بهذه الطاقة.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

وفي بيتين أخرين أيضاً يعتمد الجملة الاسمية في التعبير عن الدعوة الفاطمية، فيقول[١١]:

الإمــامُ الــذي لَــهُ دَعــوةُ الحــ ــقِّ ومــا دُونَ عِلمِــهِ تعْليــلُ

دعوةٌ قَدْ دَعا بها الأرضُ طرّاً فأجابــتْ حُزُونُهــا والسُّــهُولُ

نلاحظ أنّ المؤيّد يطلق على دعوة المستنصر في البيت الأول بأنّها دعوة الحقّ وهذه الدعوة يضفي عليها صفات إلهية قدسية مستمداً هذا الوصف من قوله تعالى:﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ...﴾[١٢]، وفي البيت الثاني نلاحظه يعتمد الجملة الاسمية في التعبير عن الدعوة فـ(دعوة) هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره(هي)، علاوة على ذلك أنّه وصف الدعوة بجملة فعلية فعلها ماض(قد دعا بها الأرض طُرّاً) دلالة على أنّ هذه الدعوة متحققة فقد دعا بها الأرض جميعاً، ومما عزّز ثبوت تحقق الدعوة واستقرارها شمولها الذي دلّ عليه نسق الشطر الثاني؛ أي إنّها دعوة دعا بها الأرض جميعاً وتلقّى الإجابة من(حزونها والسهول) وهذا انزياح دلالي عمّق دلالة البيت الشعري أي استقرار الدعوة وشمولها، فهو كناية عن خضوع الموافق والمخالف فإيمانه التام بالدعوة الفاطمية مستقر وثابت غير متزعزع؛ لذلك جاء التعبير معتمداً الجملة الاسمية مستمداً طاقة الثبوت والاستقرار والتحقق من خلال ركنيها اللذين جاءا بصيغة الاسم، وكذلك أنّ الجملة الاسمية استدعت الإطالة من خلال وصف خبرها بالجمل الفعلية الماضوية التي تفيد تحقق حدوث الفعل.

إنّ الجمل في موضع الشاهدين بالتعبير عن الدعوة الفاطمية لم تستغرق أكثر من بيت؛ لأنّها تحمل أفكاراً كلية عامة ثابتة لا تحتاج إلى مزيد شرح أو تبرير فهي اقتناع ثابت؛ لأنّه بصدد الحديث عن شخص الإمام الذي آمن به واقتنع.

وفي سياق آخر نلاحظ أنّ المؤيَّد اعتمد الجملة الأسمية أيضاً في التعبير عن الموت وهو الحقيقة الحتمية التي لا مفر منها، إذ يقول[١٣]:

قُــلْ فــاحْمِلا كُــلَّ السِّــلا حِ علــيَّ حملــةَ غيــر وانِ

فــالموتُ ميقــاتُ النجــا ةِ مــن الأذى والمــوتُ دانــي

وأمــامَ وجهــي جُنَّتــا ن مــن الأذى بــل جَنَّتــانِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

نلاحظ أنّ بنية الجملة التي اعتمدها المؤيَّد في البيت الثاني الجملة الاسمية، متكونة من المبتدأ(الموت) والخبر(ميقات النجاة)، وكذلك الجملة التي بعدها من البيت نفسه معطوفة على الجملة الأولى فالمبتدأ(الموت)و الخبر(دان) فحتمية الموت استدعت التعبير بالجملة الاسمية التي استمدت طاقة الثبوت من خلال ركنيها، والأهمّ من ذلك أنّ المؤيَّد يريد بالموت أنّه ميقات النجاة أي موعدها وهذا ما تدين به عقيدته التي تحمل معنى فلسفياً في هذا الاعتقاد، فالحياة عندهم((هي سجن المؤمن وجنة الكافر وأنّ النفس وهي نور روحاني تكون في الحياة رهينة محبس الجسم البالي الترابي بينما تنتقل بعد الموت إلى عالمها الروحاني بين الأرواح في عالم القدس فتصبح مؤثرة في الأجرام بعد أن كانت متأثرة بالأجرام))[١٤]، إذن التعبير الشعري يحمل دلالة رسوخ هذا الاعتقاد في ذهن المؤيَّد؛ لذلك جاء متواشجاً مع الجملة الاسمية، علاوة على ذلك نلاحظ أنّ بنية جملته الشعرية شغلت حيز البيت كله فلم تستغرق أكثر من بيت؛ وذلك لانتهاء قصدية الشاعر في هذا المعتقد الأيديولوجي.

أما في تعبيره عن المستنصر فسوف نجد توظيفاً مغايراً، له خصوصيته التعبيرية، فضلاً عن ذلك أنّه يحمل أبعاداً أيديولوجية تخص الفكر الفاطمي، وسوف نطرحها من خلال الأبيات التالية، إذ دائماً ما نجد في سياق مدح المستنصر أنّ بنية جملته تأتي معتمدة الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية أو موصوف بجملة فعلية فعلها يحمل دلالة التجدد والاستمرار ألا وهو الفعل المضارع، فيقول المؤيّد في ذلك[١٥]:

الإمـامُ المستنصـرُ العـدلُ مـولا ... نا سِراجُ الدُّجى النّسيبُ الحَسيبُ

ذاكَ مـولى لَـهُ المـوالي عبيـدٌ ... مِثْـلُ نحْـلٍ خَـلا لهـا يعسـوبُ

وَهْـوَ يجلـو دِيـنَ الهُـدى ويُجلّـى ... غَيْهَـبَ الشّـكِّ منـه وَهْـوَ مُريـبُ

نلاحظ المؤيّد في هذه الأبيات اعتمد بنية الجملة الاسمية المعتادة في التعبير عن المستنصر، ففي البيت الثالث نجد أنّ المبتدأ(هو) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، والخبر(يجلو دين الهدى) جملة فعلية فعلها مضارع في محل رفع خبر، فدلالة الجملة الفعلية التي فعلها مضارع المتّسمة بالحدوث والتجدد جاءت متناسقة ووظيفة المستنصر العقائدية التي يؤمن بها أصحاب المذهب الفاطمي، والذين يرون أنّ((معجزة الوصي والأئمة هي علوم الباطن التي اختصوا بها دون البشر))[١٦]. فالإمام هو المسؤول عن توضيح أمور الدين الباطنية والظاهرية وكشفها.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

وفي أبيات أخرى، يقول الشاعر[١٧]:

ومن ضمَّت الدنيا ومَنْ وطئ الثرى وأشرف مَنْ أجرى العتاقَ المذاكيا

إمامٌ يمُدُّ الشمسَ نورُ جَبينِهِ كما جودُ كفَّيهِ يمدُّ الغواديا

حَوى كفُّه فيْضى نوالٍ وحكمةٍ غدا بهما يُحيى العظامَ البواليا

يبدأ الشاعر جملته في البيت الثاني بـ(إمام) خبر لمبتدأ محذوف تقديره(هو)، وخبره موصوف، فهو يصف الإمام بجملة فعلية وهي(يمُدُّ الشمسَ نورُ جبينه)، فعلها مضارع يتصف بالدينامية والحركية والانبعاث المستمر فـ((الفعل عنوان الحركة عامة))[١٨]، فالإمام بهذا الوصف يملك قدرات خارقة بأنّه هو الذي يمدّ الشمس بالضوء وليس العكس، وحتى في الشطر الثاني للبيت، فإنّ المبتدأ(جود كفيّه)، وخبرها جملة فعلية(يمدّ الغواديا)؛ أي بذله وعطاؤه يصلان إلى السحاب فهو السبب في أن يجعلها تمطر، وهذه انزياحات دلالية يعبّر بها الشاعر عن مولاه المستنصر.

وفي أبيات أخرى، يقول[١٩]:

إمامٌ إذا عنَّ خُطْبٌ غدا إلى رأيِهِ فيهِ تُثنى الأعِنّهْ

إمامٌ يؤمُّ صلاحَ العبادِ وما للصلاحِ سواهُ مظنّهْ

إمامُ الهدى والهمامُ الذي بِهِ قويت لمواليهِ مُنّهْ

فهو يعتمد بنية الجملة الاسمية في البيت الثاني متكونة من الخبر(إمام) لمبتدأ محذوف تقديره(هو) ويصف خبرها بجملة فعلية فعلها مضارع(يؤمُّ صلاح العباد)، ومن خلال هذه الجملة الفعلية يضفي عليه استمرارية في الدلالة يتمثل بقصد صلاح العباد المستمر غير المنقطع فالإمام الفاطمي في عقيدتهم يملك صفات الأنبياء والرسل والأوصياء فالله سبحانه أرسله لصلاح العباد، وما يعزّز دلالة هذا التوظيف التركيبي التعبير الاستثنائي في عجز البيت الذي خصَّص الصلاح للمستنصر فقط.

فنلاحظ أنّ الشاعر وفّق في توظيفه الجمل الاسمية التي خبرها جملة فعلية أو خبرها موصوف بجملة فعلية فعلها مضارع مع الدلالات الفكرية التي تحملها الأبيات الشعرية في وصف المستنصر ومدحه. فالمستنصر عند أصحاب العقيدة هو المحور الثابت، بل محور الكون الذي يتجلّى به استمرارية الحياة وديمومتها، وصلاح العباد وهو المسؤول عن كشف كلّ ظاهرٍ وباطن، والصفات التي يتحلّى به توافق الحركية والتجدد التي تحملها دلالة الفعل المضارع.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

وفي أبيات أخرى نجده يعبّر عن أهل البيت ويمدحهم، فنجده يعتمد الجملة الاسمية في ذلك التعبير، إذ يقول[٢٠]:

وهُمْ أولو الأمرِ أئمة الهدى ... عصمةٌ مَنْ لاذَ بهمْ من الرّدى

مفروضةٌ طاعتُهمْ على الأممْ ... قاطبةً من عَرَبٍ ومِن عَجمْ

اقرأ: أطيعوا اللهَ والرّسولا ... ثُمَّ أُولِي الأمرِ بهم مَوْصولا

فبنية جملته في البيت الأول متكونة من المبتدأ ضمير الغائب(هم)، ويخبر عنهم بخبر أول(أولو الأمر)، وخبر ثان(أئمة الهدى)، وخبر ثالث(عصمة)، وكثرة الأخبار تدل على استغراقه معاني متعددة يشد بها انتباه المتلقي، فتوظيف الجملة الأسمية بركنيها الثابتين جاء موائماً وثبوت الولاء العقائدي، كذلك نلاحظ أنّه يعتمد الجملة الأسمية في التعبير عن الطاعة، فالمبتدأ مؤخر(طاعتهم)، والخبر مقدم(مفروضة)، ودلالة هذا الانزياح التركيبي في تقديم الخبر على المبتدأ هو أولوية الاهتمام بذكر فرض وجوب الطاعة؛ فـ((الولاية عند الفاطميين هي اعتقاد وصاية علي، وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول، ووجوب طاعة الوصي والأئمة))[٢١]، ومما يعزّز دلالة ثبوت اقتناعه الفكري حول وجوب الطاعة تناصه في البيت الثالث مع قوله تعالى:﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُم﴾[٢٢]، فهذه الأبيات جاءت ضمن سياق مديح المستنصر؛ لذلك يحمل فكراً عقائدياً فهو وظيفة إقناعية؛ ليدلّ بها على وجوب طاعة المستنصر بوصفه الإمام ومن ذرية أهل البيت(عليهم السلام) المنصوص عليهم بالإمامة. فيكمن نجاح أسلوب التقرير إذا كشف عن رؤيا الشاعر أو موقفه الفكري[٢٣]

ونلاحظ في أبيات أخرى أنّ الجملة الاسمية في شعر المؤيَّد في الدين لم ترد في سياقها الخبري، بل وردت في السياق الإنشائي، إذ يقول[٢٤]:

هلاّ تراني فيكَ إلا غَالِيَا ... يُفرطُ في حبّكَ لا مَوالِيَا

فما لحقّي عنْدكمْ يُضَيَّعُ ... وما لقولي صارَ ليس يُسمَعُ

أخادمٌ مثلي يُضاعُ هكذا ... كيما يطولُ نحوَهُ باعُ الأذى

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

فالشاعر في سياق مخاطبة أبي كاليجار البويهي بعد أن أصبح ضده بفعل الوشاة والحساد الذين يحاولون إبعاده عنه؛ لئلا تتضرر مصالحهم ومكانتهم عند السلطان، إذ نلاحظ في البيت الثاني أنّ بنية جملته اسمية متكونة من اسم الاستفهام(ما) الدال على غير العاقل، وهو اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ، وخبره(لحقي) شبه جملة متكونة من الجار والمجرور، أما(يُضيّع عندكم) فوصف للخبر، فالاستفهام هنا مجازي يحمل دلالة الشكوى والعتب، فهو لم يكتف بالتعبير عن شكايته وعتبه في جملة واحدة فقط؛ لذلك نجد الجملة الثانية في الشطر الثاني معطوفة على الجملة الأولى في الشطر الأول فـ(ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ معطوف على اسم الاستفهام الأول، وخبره(لقولي) شبه جملة متكونة من الجار والمجرور و(يُسمع) وصف للخبر، فكان للواو العاطفة دور في ربط الجملتين معاً، إذ نلاحظ أنّ الجمل الاسمية الإنشائية استوعبت الموقف الشعوري المتمثل بعتبه على السلطان ومحاولة التقرب منه، وممّا عزّز فاعلية الجملة الاسمية الإنشائية الأولى هو أنّ الصيغة الصرفية للفعل المزيد المبني للمجهول(يُضيَّع) دالة على الكثرة والمبالغة، فالمؤيَّد أراد تهويل الموقف في إضاعة حقّه عندهم، وممّا دعم ذلك أيضاً هو تقديم شبه الجملة الظرفية(عندكم) على الفعل(يُضيَّع) دلالة على تأكيد ضياع حقّه عند السلطان، فتقنية الانزياح التركيبي الذي حققها التقديم والتأخير عزّزت فاعلية الجملة الاسمية الإنشائية، والشاعر لم يكتف بذلك بل استمر بعتبه من خلال استخدامه صيغة الاستفهام في البيت الثالث، إذ نجده يعتمد الجملة الأسمية الإنشائية أيضاً، فالهمزة حرف استفهام والمبتدأ(خادم) نكرة موصوفة بـ(مثلي) وخبره جملة فعلية فعلها(يضاع)، فتحول الاستفهام في البيتين عن الاستفهام الحقيقي، من شأنه أن يعد انزياحاً وظيفياً يثري دلالة الأبيات الشعرية ويعمّقها، لذلك يشكل مؤشراً أسلوبياً، فمن خلال الاستفهام المجازي حرص الشاعر على التذكير بفضله، وبذلك يمكن القول إنّ توظيف الاستفهام جاء موائماً والدفقة الشعورية.

وفي أبيات أخرى نجد المؤيَّد يحمله حسه وانتماؤه العقائدي على مدح الإمام علي(عليه السلام)، معتمداً الجملة الأسمية الإنشائية في ذلك، إذ يقول[٢٥]:

وبالقران الحقّ في الناسِ نطق ... نطقاً يجلّى صبحُهُ كلَّ غَسق

كذاك قالَ المرتضى والمنبر ... من نوره لمّا علاه أنور

من ذا على ما قاله يعترضُ ... إلا الذي في القلبِ منه مرضُ

نلاحظ هنا أنّه اعتمد الجملة الاسمية الإنشائية في البيت الثالث، فهي متكونة من اسم الاستفهام(من) في محل رفع مبتدأ، وخبره الجملة الفعلية التي فعلها لازم(يعترضُ)، فالصيغة الاستفهامية هنا مجازية تحمل دلالة النفي وهذا استفهام إنكاري(من ذا) يعني لا أحد يعترض على قول

الإمام علي(عليه السلام) بالقرآن الحقّ، ووصفهم بأنّ في قلوبهم مرضاً، فالسؤال يحمل إجابته مستثناة بأداة الاستثناء(إلا) وهذا ما عزّز فاعلية الجملة الاسمية، إذن فالجملة الاسمية الإنشائية مستوعبة الموقف الشعوري.

وفي موضع آخر نجد المؤيَّد يعتمد الجملة الاسمية الإنشائية في معاتبته المستنصر، فيقول[٢٦]:

إنـــي بِمُكْتَسَـــبِ الفضـــائِلِ مِـــنكم في السابقينَ وفي الحُظوظِ وراء

هل صَادِقٌ في الحُبِّ يُشْبِه مَاذقا هَـلْ تســتوى الأمــواتُ والأحْيــاء

إذ إنّ بنية جملته في البيت الثاني متكونة من حرف الاستفهام(هل) وهو حرف لا محل له من الإعراب يوجّه من خلاله المؤيَّد عتبه وتوددة للمستنصر، والمبتدأ(صادق في الحب) والخبر(يشبه ماذقا)، إذ نلاحظ أنّ الاستفهام المجازي هنا حمل دلالة النفي؛ أي لا يمكن الصادق في الحب أن يشبه الإنسان غير المخلص، فالجملة الاسمية الإنشائية جاءت مستوعبة الموقف الشعوري، ومما عضّد هذا التشكيل التركيبي وعزّز فاعلية دلالته توظيف الشاعر للتناص مع الآية القرآنية الكريمة:﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ..﴾[٢٧]، في الشطر الثاني من البيت؛ لإثبات أنّ الصادق لا يشبه الماذق كعدم استواء الأموات والأحياء.

المبحث الثاني:

بنية الجملة الفعلية وأثرها الدلالي في التعبير الشعري عند المؤيَّد في الدين

نجد المؤيَّد في الدين يعبّر عن الفرق الأخرى التي تخالف مذهبه بجمل فعلية ماضوية، فهو في سياق التنديد بهم، إذ يقول[٢٨]:

وإنّمـــــا أمَّتُنـــــا تفرّقـــــوا إذْ بـــين ذا وبـــين ذاكَ فرَّقُـــوا

فمرضـــتْ قلـــوبُهُم أيَّ مَـــرَضْ وفَسَـدَ الـدينُ علـيهمْ وانـتقضْ

وأصـــبحت عقـــولُهم مختلـــهْ ســـقيمةً نفوسُـــهُمْ معتلـــهْ

فـي البيـت الثـاني نلاحظـه يعتمـد بنيـة الجملـة الفعليـة الماضـوية، ففعلهـا الماضي(مرضـت) وفاعلها(قلوبهم)، بمعنى أنّه يصف قلوبهم بأنّها مريضة لعدم اتباعهم طريق الصواب وهو المذهب الفاطمي باعتقاده، فالفعل الماضي يدلّ على التحقق والحدوث، أي إنّ مرضهم واقع ومتحقق؛ فهو لم يكتفِ بوصف قلوبهم بالمرض بل وصف دينهم بالفساد في الشطر الثاني من خلال الجملة الفعلية

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

التي فعلها(فسد) وفاعلها(الدين) من خلال ربطهما بأداة العطف(الواو)، فالبيت اشتمل على جملتين فعليتين عطفت الثانية على الأولى، فهذا التشكيل التركيبي استوعب الانزياح الدلالي الذي تكمن فيه مقاصد المؤيَّد.

وأيضاً في بيت آخر نجده يعبّر عنهم في السياق نفسه، إذ يقول(٢٩):

فسُـــلبوا ســـدادَ قـــولٍ وعمـــلْ وعُرِضـــوا لكـــل خطـــب وخَطَـــلْ

فهو يعتمد الجملة الفعلية الماضوية المبنية للمجهول التي فعلها ماض وهو(سُلب) ونائب فاعلها ضمير الجماعة(الواو) في صدر البيت، وبما أنّ الفعل الماضي يدلّ على ثبوت تحقق الحدث، فالبيت يحمل دلالة التجرد من القول والعمل السديد، كون فعل التجريد حدث وتحقق بالزمن الماضي، وكذلك بمساندة أداة الربط وهي(الواو العاطفة) يتم الجمع بصفتهم الأخرى في عجز البيت التي عبّرت عنها الجملة الفعلية المعطوفة على الجملة الأولى من الفعل الماضي المبني للمجهول(عُرِّض) ونائب فاعلها ضمير الجماعة(الواو)، أي أنهم عنوا كثرة الجدال والكلام الفاسد وهذا ما يتفق ودلالة الفعل الماضي، إذ جاءت الجملة الفعلية الماضوية مستوعبة المقتضى التعبيري، علاوة على ذلك أنّ التنديد بالفرق الأخرى يحمل دلالة فكرية أيديولوجية مستقرة وثابتة في فكرهِ وإيمانه في المذهب الفاطمي.

وفي أبيات أخرى للشاعر عبر مخاطبته نسيم الصبا، يقول(٣٠):

نسـيمَ الصَّـبا ألمِـمْ بفـارسَ غاديـا وَأبلـغْ سـلامي أَهـلَ وُدِّي الأزاكيـا
وَزُرْ بُقْعَـةَ الأهـوازِ عنّـي مُحيّيـا بِهـا غُـرَّ إخْـوانِي، وأرْجـانَ تاليـا
وقـلْ لهَـمْ: إنّـي رهـينُ صَـبابةٍ صُـبَابَةُ واديهَـا تُزيـلُ الرَّواسِـيا
وقُلْ كيفَ أنتم بعْد عَهدي فإنني بُليـتُ بـأهوالٍ تُشـيبُ النواصـيا
لبستُ لباسَ الذّلِّ في أرضِ غُربـةٍ وكـم ذا لِعِـزّ قـد سـحبتُ رِدائيـا
وقاسـيتُ صـعباً بَـيْنَ حـلٍّ ورحلـةٍ يقلّـبُ قلـبَ الصـخّرِ أدْنـاهُ واهيـا
وعاركـتُ مـن بَـردِ الشّـتاء مَعاطبـاً بسَـيْري، ومـن حرّ الهجيرِ مكاويـا
ولابسـتُ أقوامـاً غِلاظـا طِبـاعُهُم تظـلُّ بنـو الآدابِ فِـيهِمْ خوافيـا

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

نلاحظ في الأبيات الشعرية وفرة ملحوظة من الجمل الفعلية، نجد الشاعر يعتمدها في تعبيره هذا، منطلقاً من توجيه تلك الأفعال إلى نسيم الصبا، فهو يقوم بتشخيص نسيم الصبا ويجعل منه إنساناً يؤمر مما شكّل هذا الانزياح الدلالي صورة شعرية، وبمساندة التحول الوظيفي في وظيفة النداء عبر أداة النداء المحذوفة تقديرها(يا) يفهم أنّ السياق يحمل دلالة التمني والشوق إلى بلاد فارس، وصعوبة تحقيق المطالب، إذ إنّ الشاعر باعتماده أفعال الأمر جاءت مستوعبة الحالة الشعورية النفسية، فإذا به يفرّغ شحناته الشعورية من خلال جملة فعل الأمر التي أفعالها(ألمِمْ، أبلغ، زُر، قُل، قُل)، وفاعلها الضمير المستتر الذي يعود على(نسيم الصبا)، فهو يأمر الرياح(نسيم الصبا) أن تتحضر وتغدو بفارس وأن تبلغ سلامه إلى أهله، وأن تزور أرض الأهواز وتلقي التحية وكذلك أرض أرجان؛ لأنّ فيها غرّ إخوانه؛ أي سادتهم وأشرافهم، فإذا به يطيل بتلك الجمل الفعلية، ففي الجملة الأولى من الشطر الأول يربطها بالجملة الثانية في الشطر الثاني من خلال العطف؛ لإتمام غرضه المقصود، ومن ثمّ نجد في الشطر الثاني من البيت الأول يطيل الجملة من خلال نعت(أهل ودّي) بـ(الازاكيا)، فإنّ النعت من العناصر غير المؤسسة للجملة التي تطيلها لأغراض عدة منها الايضاح، والتخصيص، والمدح، والذم، وغيرها وهذا ما يُسمّى بطول التبعية[٣١]، وفي الجملة الثانية نجده يطيل الجملة بالحال(محييا)، فالحال من مقيدات الفعل حتى وأن كان عنصراً غير مؤسس للجملة وهذا ما يُسّمى بطول التقييد للجملة[٣٢]، ومن ثَمّ نجد جملة إيضاحية(بها غرّ أخواني)، وبعد ذلك نجد جملة(أرجان تاليا) معطوفة على(زر بقعة الأهواز) من خلال ربطهما بأداة العطف(الواو) التي أفادت الترتيب والتعقيب في هذا السياق من خلال لفظة(تاليا) في آخر البيت؛ أي زر أرض أرجان بعد بقعة الأهواز، وبعد جملة فعل الأمر(قل لهم) نجد جملة مقول القول جملة اسمية منسوخة(إنّي رهين صبابة) فالجملة الأسمية المنسوخة بـ(إنّ) وركناها اسمان هي أقوى وارسخ في تصوير الحال، فجاءت جملة مقول القول الاسمية موائمة والمقتضى التعبيري، وبعد ذلك جملة(صبابة واديها تزيل الرواسيا)، ومن ثمّ يعدل بعد ذلك إلى توظيفه الجمل الفعلية الماضوية وتكثيفها التي افعالها(بليت، لبست، سحبت، قاسيت، عاركت، لابست)، فكلّ هذه الجمل الفعلية الماضوية تحمل دلالة التوجع والبؤس والشقاء والصبر على الأذى، فكان توظيف جملة فعل الأمر وما تحتويه بداخلها من جمل صغيرة وعناصر إطالة والعدول منها إلى توظيف الجمل الفعلية الماضوية وما تحتوي من عناصر إطالة أيضاً، ماهي إلّا دلالة على اضطراب نفسية الشاعر، فإذا كان التعبير الشعري مضطرباً وأحداثه الزمنية متغيرة، فإنّ الأفعال فيه تزيد على الأسماء[٣٣]. إذن فأنّ بنى الجمل الشعرية تلك جاءت مستوعبة الحالة الانفعالية والدفقات الشعورية المتوالية؛ لذلك فأنّ اعتماده جملة فعل الأمر والماضوية جاء متواشجاً والدفقات الشعورية التي يريد

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

الإفصاح عنها، فالنصوص المتوترة تصبح ذات وهجٍ شعري عالٍ كونها تحاكي الجانب النفسي والشعوري والوجداني للشاعر[٣٤]

وفي أبيات أخرى نلاحظ الشاعر يعتمد جملة فعل الأمر وهو في سياق التعبير عن انقضاء العمر وفناء الإنسان، إذ يقول[٣٥]:

فـــلا تـــركنَّ إليـــهِ وأنـــتَ	تَـــرَى شَمْسَـــهُ آذَنَـــتْ بالغِيـــابِ
وخَـــلِّ التَّصـــابي لأهـــلِ الصِّـــبا	وخَلْـــعَ العـــذارِ لأهْـــلِ الشّـــبابِ
وهيِّـــئ لـــكَ الـــزّادَ إنّ الغـــرابَ	سَـــيَنْعَبُ عَـــنْ كثـــبٍ بـــاغترابِ
ويـــدْعُوك داعـــي المنايـــا فـــلا	مَنـاصَ فَهَّـلا غِنـى عـن جـوابِ
فتُنْشـــرَ أعْمَالُـــكَ الفَاضِـــحاتِ	وإنْ كنْـتَ تُطـوَى كطـيِّ الكِتـابِ
فـإن كنْـتَ مَـوْلى إمـام الزّمـان	كُفيـت هُنالِـكَ سـوءَ الحِسـابِ

نلاحظ أنّه يأمر متلقيه من خلال الجملة الطلبية التي تفيد الأمر والنهي التالية: وهي أولاً جملة(لا تركنّ) ففعلها مضارع(تركنن) وفاعلها ضمير مستتر تقديره(أنت)، وكذلك اتصال الفعل بنون التوكيد للتأكيد على عدم الركون والثقة التامة في العمر، وأنت تراه ينقضي شيئاً فشيئاً ومما عزّز الدلالة التي تحملها الجملة الفعلية في هذا البيت هو نسق الانزياح الدلالي في الجملة الحالية(وأنتَ ترى شمسه آذنت بالغياب) فهي كناية عن عمر الشباب، إذ ترى توهج العمر وحيويته بدأ بالخفوت، ومن ثَمّ الجملة الفعلية التي فعلها فعل أمر(خَلِّ) أيّ يأمرهم بترك التصابي وترك خلع العذار، وجملة فعل الأمر(وهيئ لك الزاد) التي فعلها(هيئ) ومما عزّز دلالة جملة فعل الأمر الانزياح الدلالي في الجملة التفسيرية(إنّ الغراب سينعب عن كثب باغتراب) الذي كنّى بالغراب عن عمر الشباب الذي لا مفر أنّه سينقضي، إذ حملت تلك الجملة دلالة الحدوث في المستقبل القريب من خلال الفعل(سينعب) فحرف السين الذي سبق الفعل المضارع يدل على حدوث الفعل في المستقبل القريب، ومن ثمّ يلتفت إلى توظيف التخويف من نشر الأعمال الفاضحات من خلال استعماله الجملة الفعلية التي فعلها فعل مضارع(يدعوك) وفاعلها(داعي المنايا) والفعل المضارع يدلّ على الحدوث في المستقبل، وهذا الحدوث ما يؤمن به أصحاب العقيدة ويعزّزه بجملة فعلية أخرى(هلاّ غنى عن جواب) إذ تحمل تلك الجملة دلالة الحضّ أي الشدة عبر الأداة هلاّ، ففعلها ماض مضمر والتقدير(هلا قدمت) أي هلا قدمت جواب كاف، ومن ثمّ يعتمد الجملة الفعلية فعلها(تنشر) مضارع منصوب بأن مضمرة دلت عليها الفاء السببية ما قبلها طلب دال على التحضيض مبني للمجهول ونائب فاعلها(أعمالك)، فالفعل هنا يحمل

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

دلالة الاستقبال أي إنّ الأعمال سوف تنشر، وممّا عمّق دلالة الجملة الفعلية الانزياح الدلالي في جملة(وان كنت تطوى كطي الكتاب) أي وإنْ كنت تلف أعمالك وتتستر عليها كطي الكتاب. إذن بتوظيف جملة فعل الأمر وأثرها الدلالي وبمساندة الدلائل الحقيقة والحتمية التي تخص عمر الإنسان استوعبت تلك الجمل ما يؤمن به أصحاب المذهب الفاطمي من مبدأ يجب التزامه، وهذه اللزومية جاءت مناسبة وفعل الأمر، ومن ثمّ أنّ العدول إلى توظيف الجمل الفعلية التي أفعالها مضارعة استوعبت أحداث المستقبل، وكذلك نستشف من ذلك أنّ هناك دلالة أيديولوجية عقائدية مبطنة مفادها ولاء المستنصر وهذا ما نجده في البيت السادس هو اتباع المستنصر فإذا كنت مولى له سوف تنقذ من الحساب والعقاب.

وفي أبيات أخرى نجد أنّ المؤيَّد في الدين لم يكتفِ بتوظيف جمل فعلية ذات زمن واحد، بل تعدى ذلك إلى التنويع الزمني، من زمن مضى وتحقق حدوثه إلى زمن الحال وإلى تأمله في مستقبل، إذ نجده يشكو سوء الحال والبؤس والشقاء بسبب الفتن والأيدي التي تسللت وقصدت خراب الدعوة الفاطمية، إذن فالباعث النفسي والدفقات الشعورية المضطربة أدت إلى أن يأتي توظيف الجملة الشعرية على هذا الشكل، فإذا به يقول[٣٦]:

إلهي أحاطَ اليأسُ من كُلِّ جانبٍ ... بِنا، وبنا ضَاقتْ جميعُ المذاهبِ
غَدوْنا بجَوْرِ الدّهرِ مَأكلَ آكلٍ ... وصِرنا بمسّ الضُّرِّ مَشْربَ شاربِ
غَدَتْ دعوةُ الأطهارِ من آل فاطمٍ ... شموسِ الهدى الشمّ الكرامِ المناسبِ
مبلبلةً من قصدِ ناسِ مغالبٍ ... مزلزلةً من كيدِ رجسِ المناصبِ

إنّ الشاعر في بدء التعبير اعتمد الجملة الفعلية الماضوية التي فعلها(أحاط، ضاقت) وفاعلها(اليأس، جميع المذاهب) دلالة على أنّ هذا الحدث تحقق ووقع فعلاً؛ ومما عزّز هذا الحدوث أسلوب الدعاء الذي استوعب موقف الاعتراف بالانكسار، لذلك جاءت تلك الجمل مستوعبة الدفقة الشعورية، ومن ثم يلتفت إلى الجملة الاسمية المنسوخة المبدوءة بالفعل(غدونا) بمعنى صار والفعل(صرنا) يفيد تحويل الشي إلى شيء آخر، إذ استوعب هذا التوظيف حال تحولهم بسبب جور الدهر ومس الضّر إلى مأكل آكل ومشرب شارب، ومن ثمّ يصف حال الدعوة الفاطمية أيضاً عبر الفعل الناسخ(غدت) الذي يحيل دلالتها الثابتة إلى دعوة مزلزلة ومبلبلة، فهو لم يكتف بهذا الوصف بل استغرق في وصف أصحاب الدعوة إذ يصفهم بـ(شموس الهدى الشم الكرام المناسب) وهذا ما يطيل

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

الجملة، علاوة على ذلك أنّه بيّن من الذي وراء هذا التحول، إذن مثلما سبق وقلنا أنّ الجملة الشعرية مرنة فهي تستوعب الدفقة الشعورية متى ما اكتملت، وأنّ الدعوة الفاطمية لا تهون على هكذا شخصية حظيت بمرتبة عليا فيها ألا وهي مرتبة داعي الدعاة. فالتعبير بالجمل الفعلية الماضية وبالجمل الاسمية المنسوخة التي أفعالها ماضية جاءت مستوعبة الموقف الشعري المتمثل بانكسار المؤيَّد، ومن ثمّ يقول(٣٧):

أترضى لدينِ الحقِّ يا رَبُّ إنّهُ غدا كرةً تلهو بها كفُّ لاعبِ
أتتركُ أتباعَ الهدى هكذا سدى لتفترسَ الآسادَ جرو الثعالبِ
وتتركُ نورُ اللهِ يطفأُ بعدَ ما ثوى ما ثوى في مُدلهمِ الغياهبِ

فنلاحظه يلتفت إلى اعتماد الجمل الفعلية التي أفعالها مضارعة(ترضى، تترك، تترك) وفاعلها ضمير مستتر تقديره يعود إلى(الله عز وجل)، فهو في سياق الشكوى إلى الله تعالى، ومما عمّق دلالة التعبير الشعري الاستفهام المجازي الذي يحمل دلالة النفي المتمثل بحرف الاستفهام(الهمزة) وهذا بحد ذاته انزياح وظيفي يكسر رتابة النمطية ويحقّق مؤشراً أسلوبياً يعزّز دلالة الجملة الفعلية، ففي الجملة الفعلية الأولى نجد جملة إيضاحية متمثلة بالجملة الاسمية المنسوخة(إنّه غدا كرة تلهو بها كف لاعب) التي خبرها جملة منسوخة أيضا(غدا كرة تلهو بكف لاعب) وهذا الانزياح الدلالي عزّز دلالة الجملة الفعلية، وفي البيت الثاني أيضاً نجد الانزياح الدلالي في الشطر الثاني المتمثل بالجملة الفعلية التي فعلها مضارع(لتفترس الآساد جرو الثعالب) يعزّز من دلالة الجملة الفعلية الأولى في صدر البيت، ونجد في البيت الثالث أيضاً اعتمد الجملة الفعلية وعمّق دلالتها بوصف نور الله أي الدين أنه استقر حتى في مدلهم الغياهب فـ(مدلهم الغياهب) يعني الظلام الحالك، والظلام مخالف للنور، فهذا التعبير كناية عن الكفر الشديد، إذن تلك الجمل الفعلية حملت بداخلها جملاً؛ لاستيعاب هذا القدر من الدفق الشعوري، إلى أن يصل إلى التعبير بجملة فعل الأمر، فيقول(٣٨):

فيا رَبنا أحفظْ دعوةَ الحقِّ، حافظاً لمنكبِهَا في الأرضِ كُلّ المناكبِ
وصُنْ أهلهَا طراً، وصبّ على الذي يكيدُ بها في الناسِ صوبَ المصائبِ

وأفعالها(أحفظ، صن، صب) مكللة بأسلوب الدعاء استنجاداً بالله وتضرعاً له، بأن يحفظ دعوة الحق، ويحفظ أماكنها ويصون أهلها جميعاً، ويبتلي كل مَنْ يكيد بها بالمصائب، ومما أثرى فاعلية تلك الجملة اعتماده الفعل(صبّ) في البيت الثاني، إذ نجد أنّ الفعل صبّ أقوى من الفعل يبتلي في

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

هذا التعبير بمعنى أنّه يريد بهذا التعبير أن تنزل عليهم المصائب بسرعة وبكثرة، فكلمة(صبّ) دائماً ما تُستعمَلُ مع الماديات. فالتنوع الزمني، وكثافة الأفعال دلالة على الذات المضطربة القلقة المتحيرة بشأن مذهبها، وأنّ تلك الجملة الفعلية المتنوعة جاءت متواشجة مع الدفقات الشعورية التي يريد الشاعر الإفصاح عنها.

ونجد في أبيات أخرى أنّه اعتمد الجملة الفعلية وهو يفخر بنفسه، إذ يقول[٣٩]:

فكم مِنْ جواهرَ لفظٍ نظمتُ ... ودُرٍّ نَثَرْتُ عديم الثّمنْ

مدحتُ النبيَّ وآل النبيِّ ... إلى أن قَدَحْتَ زِنادَ الفِطنْ

فكم من غشاوةِ جَهْلٍ كَشَفْتُ ... ورُوحٍ نَفَختُ بها في بَدنْ

وكم فَتْكَةٍ برشادٍ فتكتُ ... وكم قد هتكت لِغَيٍّ جُننْ

نلاحظ في هذه الأبيات الشعرية أنّ بنية الجملة الفعلية متكونة من(كم) الخبرية جاءت في محل نصب مفعول به مقدم وجوباً وفعلها(نظمت)، أما(من جواهر لفظ) فهو تمييز والتمييز من عناصر الجملة التي تقيد الجملة وتطيلها، علاوة على ذلك أنّ الدفقة الشعورية لم تكتمل بَعْدُ إذْ يربط هذه الجملة بجملة أخرى معطوفة عليها عبر أداة الربط العاطفة(الواو) التي فعلها(نثرت) ومع هذا أنّ الجملة استوعبت الانزياح الدلالي الذي شكّل صورة شعرية هنا إذ يشبه شعره بالجواهر والدليل على ذلك لفظة(نظمت) ونثره بالدرّ والدليل على ذلك(نثرت)، ومن ثمَّ يعتمد جملة فعلية فعلها ماض(مدحت) ومفعولها(النبي)والمفعول المعطوف على النبي(آل النبي) ومن ثمّ جملة فعلية فعلها ماض(قدحت) ومفعولها(زناد الفطن) ومنَ ثمَّ يعتمد الجملة الفعلية التي مفعولها صيغة كم(الخبرية) في محل نصب مفعول مقدم وجوباً، وفعلها ماض(كشفت) والتمييز(من غشاوة) كما سبق وقلنا تقييداً غير مؤسس يطيل الجملة ولم تكتمل أيضاً الدفقة الشعورية فيربطها بجملة أخرى من خلال حرف العطف(الواو) وفعلها(نفخت) وتمييزها(روح) وتلك الجمل أيضاً استوعبت الانزياح الدلالي المتمثل بتشبيهه الجهل بالغشاوة والدليل على ذلك لفظ(كشفت) أي إنّه ازال تلك الغشاوة، والشاعر مستمر باسترسال تلك الدفقات الشعورية إذ نجد أيضاً في البيت الرابع جملة فعلية مفعولها أيضاً(كم الخبرية) وفعلها(فتكت) وربطها بجملة أخرى عبر أداة الربط الواو العاطفة ففعلها ماض(هتكت)، فإنّ الشاعر يتخذ من صيغة(كم) الخبرية الدالة على الكثرة والتفخيم وسيلة لعرض وتعظيم ما قدمه في سبيل العقيدة؛ أي إنّ ما قدمه لا يعد ولا يحصى؛ لذلك نلاحظ أنّ صيغة(كم الخبرية) في كل بيت شعري مشحونة بدلالة شعورية تجاه العقيدة، وأنّ تكرارها ما هو ألا إلحاح وتوكيد على تعظيم فعله، وبمساندة

وفرة الأفعال الماضية وهي أفعال الجملة الفعلية(نظمت، نثرت، كشفت، فتكت، هتكت) التي مفعولها(كم الخبرية) دلالة على تحقق حدوث تلك الأفعال التي تُنسَب إليه، ومما يثري فاعلية التعبير الشعري هذا هو أنّ الفاعل الذي لم نسبق إلى ذكره الضمير المتصل(التاء) العائد على المؤيَّد، أي فاعل تلك الأحداث المتكلم فهذا ما يكشف الاستقواء بالذات وإثبات وجودها، إذ نلاحظ أنّ الموقف التعبيري تطلب وفرة الجمل الفعلية الماضوية فجاءت تلك الجمل مستوعبة له.

ونجد الشاعر في أبيات أخرى، وهو في معرض البوح بشوقه إلى شيراز، يقول(٤٠):

متى ليتَ شعري اشتفي بلقائِهمْ ... وأشكو إليهمْ ما لقيتُ مصاعبا
وأخْبِرُ أنّ البيّنَ هَدَّ لي القوى ... وغادَرَ رأسي في الشَّبيبةِ شائبا
إلى كم أراني للأحبةِ تاركاً ... وفي الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ ضاربا
أما ساعةٌ تأتي فتقضى تودّعاً ... ويومٌ يُواتى لا يُريني المَتَاعِبا

إذ نلاحظ في أبياته هذه أنّ الجملة الفعلية الإنشائية متكونة من اسم الاستفهام(متى) في محل نصب ظرف زمان مقدم وجوباً وفعلها المضارع(اشتفي)، وفاعلها ضمير مستتر يعود على المؤيَّد، فبنية الجملة الفعلية تعزّزت دلالتها وتعمّقت بمساندة الاستفهام المجازي لها الذي خرج لغرض التمني من خلال حرف التمني(ليت)؛ أي يتمنى أن يلتقي بأحبته ويطيب بلقائهم، فتلك الجملة الفعلية الإنشائية استوعبت دفقة شعور التمني والشوق المتجدد، فالمؤيَّد لم تكتمل دفقاته الشعورية حينئذٍ، إذ نجده يسترسل الجمل الفعلية ويربط جملته الأولى بجملة فعلية معطوفة عليها من خلال أداة الربط العاطفة(الواو) التي فعلها مضارع(أشكو) وفاعلها يعود على المؤيَّد أيضاً، ويطيلها بجملة إيضاحية فعلية فعلها ماض(لقيت مصاعبا)، ومن ثمَّ يربطها بدفقة شعورية أخرى من خلال استرساله بجملة فعلية أخرى معطوفة على ما قبلها بأداة الربط العاطفة(الواو) التي فعلها مضارع(أخبر) وفاعلها يعود عليه، ويتبعها بجملة إيضاحية أي بماذا يخبرهم؟ فالجملة الاسمية(أنّ البين هد لي القوى) استوعبت انكساره ويتبعها بجملة فعلية أخرى معطوفة على الجملة الفعلية الواقعة خبر(أنّ) في قوله(وغادر رأسي في الشبيبة شائبا) إذ استوعبت تلك الجملة الفعلية انقضاء شبابه، ومن ثَمَّ نجده يكسر نمطية دفقاته الشعورية من التمني والشوق إلى اللوم في البيت الثالث، من خلال الجملة الفعلية الإنشائية(أراني) التي فعلها مضارع وفاعلها(ياء المتكلم) وبمساندة الاستفهام المجازي عبر أداة الاستفهام(كم) الدال على العدد يُعمّق دلالة اللوم من خلال كثرة الأيام التي ترك فيها أحبابه، فهو يعبّر من خلالها تجدد البعد

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

والحرمان أيضاً، ومن ثمّ تعود الدفقة الشعورية على ما كانت عليه تحمل دلالة التمني ويعبّر عنها من خلال الجملة الفعلية الاستفهامية الثالثة، إذ أنّ الهمزة حرف استفهام لا محل له من الإعراب و(ساعة) مفعول به مقدم وجوباً وفعلها(تأتي)، فنجد الجملة بمساندة حرف الاستفهام(الهمزة)تحمل دلالة تجدد التمني، والجمل الفعلية الإنشائية التي اعتمدها الشاعر خير معبر عن موقفه الشعوري، وإنّ تراكم صيغ الاستفهام في هذا التعبير الشعري دلالة على انفعال صادق ينبثق من نفس الشاعر يحمل مكنونات نفسية متراكمة، فتكرار الأسئلة أو تراكمها في تعبير شعري معين ما هو إلّا إلحاح على تصوير حالة معينة يركّز عليها الشاعر[٤١].

وفي تعبير آخر للمؤيّد نجده يعتمد الجملة الفعلية الاستفهامية لأغراض فكرية عقائدية من خلال هذا التعبير يدعم الدعوة الفاطمية ويعزّز ثقة المتلقي بها، إذ يقول[٤٢]:

أَيصِـــحُّ توحيـــدٌ بغيـــرِ ولائِـــهِ ووِلاؤه لكتابِـــــــهِ عُنْوانُـــــــهُ

أم هَـــلْ لقـــرآنٍ كـــريمٍ مُنـــزَلٍ فـــي بيتِـــهِ إلا عَلَيْـــه بَيَانُـــهُ

فالجملة متكونة من حرف الاستفهام الذي لا محل له من الإعراب، والفعل اللازم(يصحُّ) وفاعله(توحيد)، فأسلوب الاستفهام هنا يحمل دلالة النفي، وهذا ما عمّق دلالة الجملة الفعلية التي استوعبت هذا الفكر العقائدي أي إنّ التوحيد لا يصح من دون الولاية، والولاية يجب أن تكون للمستنصر الفاطمي لأنّ ولاءه للقران، ودليل ثان يطرحه من خلال الاستفهام الثاني أيضاً أنّ القرآن الكريم نزل على الرسول وآل البيت فهم المسؤولون عن بيانه وتوضيحه، والمستنصر هو حفيد آل البيت فهو يستحق الولاية بنظر أصحاب العقيدة الفاطمية.

الخاتمة:

١.اعتمد المؤيّد في مساحة غير قليلة في شعره اللغة التقريرية المباشرة، فهو لم يجهد نفسه في تشكيل عباراته شعرياً؛ لأنَّ الفكرة العقلية هي المهيمنة دائماً، فقد كان همّه الأساس تقديم الأفكار التي يؤمن بها أو يريد أن يثبتها، وكثيراً ما نجد في مدحه المستنصر أنّه يعد إعلاماً يروّج به لاتباع المستنصر وخدمة المذهب. فهو دائماً ما يفصل في بعض المعاني ذات الدلالات الثابتة التي تخص اقتناعه وإيمانه.

٢. الجمل الأسمية الخالية من الأفعال في شعر المؤيّد في الدّين استوعبت هيمنة الأفكار العقلية، واستوعبت كذلك استقرار العقيدة عنده، وايمانه التام بالدعوة الفاطمية.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

٣. خصوصية التعبير في مدح شخص الإمام المستنصر، إذ دائماً ما تكون الجملة اسمية وخبرها جملة فعلية فعلها مضارع أو خبرها موصوف بجملة فعلية فعلها مضارع، فالإمامة الركن الثابت عند الفاطميين وفي الإمام يتجلّى كلّ ما يتعلق بأمور دنياهم التي يوضحها ويكشفها وهذا ما يتطلب حركية وتجدد في التعبير.

٤. وظّف الشاعر الأفعال الماضية، والأفعال المضارعة، وأفعال الأمر؛ لأغراض متنوعة كثيرة، شكّلت لغته الشعرية، وأسهمت في خدمة فكره العقائدي من خلال توضيح قضايا ومبادئ فكرية.

٥.التنويع في الأفعال في القصيدة الواحدة استوعب حالات شعورية متنوعة، وكذلك استوعب اضطرابات شعورية معينة.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

الهوامش:

(١) من أسرار اللغة:٢٦٠، ٢٦١.

(٢) الجملة في الشعر العربي: ٢٨.

(٣) بديع التراكيب في شعر أبي تمام، الكلمة والجملة: ١٨٥.

(٤) الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية، رؤية لسانية في تحليل الخطاب الشعري: ٩٤.

(٥) ينظر: بديع التراكيب في شعر أبي تمام: ١٧٤.

(٦) ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ٤٩٢.

(٧) الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث: ١٨٦/١.

(٨) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة: ٢٠٦.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٢

(١٠) المصدر نفسه: ٢٢٤.

(١١) المصدر نفسه: ٢٣٤.

(١٢) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(١٣) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة: ٢٨١.

(١٤) المصدر نفسه: ١٨٢.

(١٥) المصدر نفسه: ٢٢٧.

(١٦) المصدر نفسه: ١٤٩.

(١٧) المصدر نفسه: ٢٦٠.

(١٨) تحاليل أسلوبية: ٢٩.

(١٩) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة:٢٦٧.

(٢٠) المصدر نفسه: ٢٢٣.

(٢١) المصدر نفسه: ٧٨.

(٢٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢٣) ينظر: جمالية التقرير في شعر أمل دُنقُل: ٦٣.

(٢٤) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة: ٣٢٦.

(٢٥) المصدر نفسه: ٣٢٤.

(٢٦) المصدر نفسه:٢٤١.

(٢٧) سورة فاطر، الآية ٢٢.

(٢٨) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة: ٢٠٦.

(٢٩) المصدر نفسه: ٢٠٧.

(٣٠) المصدر نفسه: ٢٥٩.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

(٣١) ينظر: بناء الجملة العربية: ٦٥

(٣٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٣.

(٣٣) ينظر: بناء الجملة في شعر البارودي: ٢٣.

(٣٤) ينظر: التضاد واثره في لغة الشاعرين جميل بن معمر والاحوص الانصاري: ٢٧١

(٣٥) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة: ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣٦) المصدر نفسه: ٣٣١.

(٣٧) المصدر نفسه: ٣٣١.

(٣٨) المصدر نفسه:٣٣.

(٣٩) المصدر نفسه: ٢٦٥.

(٤٠) المصدر نفسه:٢٨٩.

(٤١) ينظر: البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسيّاب: ١٤٧.

(٤٢) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة:٢٨٣.

العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

المصادر:

القرآن الكريم

١. الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي، الدكتور نور الدين السد، دار هومة، الجزائر،(د.ط)، ٢٠١٠م، ج١.

٢. بديع التراكيب في شعر أبي تمام، الكلمة والجملة، دكتور منير سلطان، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط:٣، ١٩٩٧م.

٣. البنى الأسلوبية، دراسة في انشودة المطر للسيّاب، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م.

٤. بناء الجملة العربية، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة،(د.ط)، ٢٠٠٣م.

٥. بناء الجملة في شعر البارودي، إسماعيل عبد الغني أحمد مزهر، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٠م.

٦. تحاليل أسلوبية، محمد الهادي الطرابلسي، دار الجنوب للنشر، تونس،(د.ط)، ١٩٩٢م.

٧. التضاد واثره في لغة الشاعرين جميل بن معمر والاحوص الانصاري، زينب كامل عبد الحسن، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد: ٤٨، العدد: ١(أ)، ٢٠٢٣م.

٨. جمالية التقرير في شعر أمل دُنقُل، م. د. علي عبد رمضان، مجلة آداب ذي قار، المجلد:٢، العدد: ٨، ٢٠١٢م.

٩. الجملة في الشعر العربي، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٠. الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية رؤية لسانية في تحليل الخطاب الشعري، د. عامر السعد، دار تموز_ دمشق، ط:٣، ٢٠١٤م.

١١. مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، محمد علي حمد الله، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط:٥، ١٩٧٩م.

١٢. من أسرار اللغة، دكتور ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:٣، ١٩٦٦م.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤